الفصل السادس

أنصار الاتجاه الثالث

(الموازنة والتوسط بين الرأيين)

يرى أعضاء هذا الاتجاه أن التوازن شيء ضروري، ولا بد منه في قضية عمل المرأة وخروجها من البيت، حيث إن العادات قد أثرت في الأزمنة القريبة الماضية، واستطاعت أن تحجب عن المرأة نور العلم والثقافة، وساعدت بذلك على ارتفاع نسبة الأمية بين النساء في معظم المجتمعات، فعزلت المرأة عن حركة المجتمع وأسدلت ستارا كثيفا من التخلف والركود.

فيرى أنصار الاتجاه الثاني المعارضون لعمل المرأة :

أن المرأة إذا عملت خارج بيتها أهملت حتما في واجبات البيت، ويترتب على ذلك تفكك الأسرة حسيا ومعنويا، وعند ذلك يصبح المجتمع شكلا وصورة لا حقيقة ومعنى.

في حين نلاحظ مدى تأثر أنصار الاتجاه الأول والمؤيدين لعمل المرأة بالحضارة والتمدين والرغبة في النهضة والتقدم بالمجتمع بغض النظر عن المساوئ أو الآثار السلبية المترتبة على التماس تلك الطرق.

فالطبقات التي تحمل بين ثناياها اعترافا بالجميل للغرب ومدى أثره في هذه النهضة الشاملة التي عمت العالم بأسره من أدناه إلى أقصاه ينظرون إلى عملها خارج البيت كحق ضروري للمرأة لاستقلالها ولإثبات كيانها وشخصيتها، هذا بالإضافة إلى استثمار طاقتها وقدرتها على البذل والعطاء في تنمية المجتمع، ولكنهم أغفلوا وظيفة المرأة في البيت وتغاضوا عن أهمية وظيفتها الأساسية كزوجة وأم. فالحضارة الصناعية العصرية لا تستطيع أن تحقق الآمال الكبيرة التي عقدتها الإنسانية عليها. فهي سوف تخفق في تنشئة الجيل الجديد؛ لأن المحاضن الأساسية والأولية مشغولة عن تربيته.

فطبيعة الحياة الغربية ووضعها وروحها وفلسفة حياة هذه الأمم تختلف اختلافا كبيرا عن طبيعة الحياة الإسلامية، وكل إناء بالذي فيه ينضح.

ولنا في تقصي وتتبع أثر التنافس في الحياة والتكالب على حطام الدنيا وخروج النساء وراء لقمة العيش أكبر دليل وبرهان على صدق ما نقول.

فكان نتيجة لخروج المرأة إلى العمل في المكتب والمصنع والمتجر ومصادمتها لتكوينها البيولوجي والنفسي ما تعانيه المرأة في الغرب من قلق نفسي وكآبة شديدة؛ مما أدى إلى زيادة الأمراض النفسية وزيادة استعمال الحبوب المهدئة، كما ارتفعت نسبة حالات الانتحار. وهذا غيض من فيض.

وقد أجريت استفتاءات في فرنسا وفي بريطانيا وفي أمريكا للنساء العاملات فوجد أن أغلبهن يفضلن العودة إلى المنزل والقيام بدور الأم وربة الأسرة، ولكنهن مضطرات إلى البقاء في العمل؛ لأنهن لا يجدن من يعولهن[1].

«وبالرغم من أن برامج التنمية الاقتصادية وانتشار التصنيع في العالم العربي الحديث تعني زيادة فرص العمالة، واستيعاب مزيد من النساء إلا أن هذا لا يتضمن بالضرورة التسليم بصلاحية المرأة لكافة الأعمال»[2].

فالمرأة العربية اشتغلت في مختلف المهن وتقلدت العديد من الوظائف التي كانت قاصرة على الرجال فهي تعمل في الطب والصحافة والمحاماة والهندسة ومراكز البحث العلمي والوزارات والدوائر الحكومية، وتدرس في كافة فروع المعرفة في الكليات الجامعية النظرية والعلمية.

ولكن ذلك لا يمنع من حنينها إلى البيت والأسرة وتقلد وظيفة الأمومة السامية.

فقد كشفت الدراسات الاجتماعية الحديثة عن جانب من اتجاهات المرأة العربية نحو العمل ورغبة المرأة العاملة في الاستمرار في العمل بعد الزواج، تبين

---

(١) محمود علي البار: عمل المرأة في الميزان، ص ١٩٨.

(٢) محمود حسن: الأسرة ومشكلاتها، ص ١٧٩.

أن ٨٠٪ من النساء العاملات يعتبرن الزواج والانقطاع للأسرة نهاية متاعبهن وفرصة للراحة من مشاق العمل .

وقد أجابت ٣٨٪ منهن بأنهن لا يستطعن التوفيق بين العمل ومسؤوليات الأسرة .

وأجابت ٣٦٪ بعدم القدرة على تحمل مشاق العمل بعد الزواج .

وأرجع ٢٦٪ منهن انقطاعهن عن العمل بعد الزواج لعدم موافقة الزوج أو الأهل ، وقد يرجع ذلك إلى ما نصت عليه الشريعة الإسلامية من مسؤولية الرجل عن الإنفاق على الزوجة والأسرة حتى ولو كان لها مال خاص .

وعلى الرغم من ذلك لا يزال الإحساس قائما بين كثير من الرجال بأن المكان الطبيعي للمرأة هو البيت ورعاية شؤون الأسرة ، وقد يكون الرجل أكثر تقبلا لتعليم ابنته والتحاقها ببعض المهن النسائية التقليدية ، ولكنه ينكر هذا الحق بالنسبة للزوجة ؛ لأنه يرى في خروجها للعمل خدشا لكبريائه أو إهمالاً لواجباته[١] .

إن المرأة العربية اليوم تعاني ضغوطاً اجتماعية عديدة فتقف حائرة عند مفترق الطريق ، لا تعرف إلى أين المسير أو أي مسلك عليها أن تسلكه لكي تحفظ نفسها وتحافظ على أسرتها .

فالعصر الحاضر وإيقاع الحياة السريع المتغير باستمرار فرض عليها القيام بوظائف إضافية غير وظيفة الزوجة والأم . ولكن بعض الفئات من النساء حاولن أن يتجاهلن هذه الوظائف الجديدة ، واعتبرنها شيئا ثانويا ؛ فالعمل ليس ضرورة بالنسبة للمرأة خصوصا إذا لم تكن بحاجة ملحة له سواء من الناحية المادية أو

---

(١) محمود حسن . الأسرة ومشكلاتها ، ص ١٨١ .

المعنوية . فقاومت تلك الفئات من النساء هذه الضغوط بالانصراف الكلي إلى الحياة الأسرية وحدها .

والبعض الآخر من النساء وجدن في هذه الوظائف الجديدة حافزا على التخلص من التبعية والتخلي عن الزواج والأمومة والإقبال كلية على المهنة والاستغراق في العمل الخارجي .

وقد ينتاب المرأة المعاصرة مزيج من الاتجاهات المتناقضة والصراعات فيما يتعلق بالأمور الزوجية والأسرية والمهمات الخارجية .

إن امرأة اليوم لها عملان :

العمل الأول : من حيث هي أم وزوجة .

العمل الثاني : من حيث هي موظفة .

وعليها أن تقوم بالجمع بين هذين العملين الثنائيين فلا تجني منه سوى التعب والإرهاق في كثير من الأحيان .

«ويتحدث الأطباء في الغرب عن الطوابير الطويلة من النساء اللاتي يذهبن إلى العيادات ويشكين صداعا وغثيانا وآلاما وأوجاعا في الجسم مع أرق في كثير من الأحيان، وبفحص هذه الحالات فحصا جيدا تبين أنهن يعانين الإرهاق الجسدي والنفسي نتيجة لخروجهن إلى العمل، ونتيجة لهذا القلق انغمست كثير من النساء في شرب الخمور والمخدرات والمقامرة [1] .

إذن نستنتج من السابق أنه سيصحب خروج المرأة للعمل تغيرات اجتماعية جذرية مهما ادعينا عكس ذلك .

---

(١) محمد علي البار. عمل المرأة في الميزان، ص ١٩٨ .

ومن هـذا المنطلق ينظـر أصحـاب الاتجاه الثـالث إلى مـوضـوع عمل المرأة وخـروجها من زاويـة الإسلام الجامعـة بين العمل والعـاطفة، فمـدنية الإسـلام وحضارتـه العريقـة لا ترضى للمرأة غير الانسجـام الكامل مع قـوانين الفطرة. هذه القوانين التي لا تكـره المرأة على ما لا يتفق مع كرامتها كإنسـان ومع تركيبها اللطيف كأنثى، فهـو بـذلك يفتح لها البـاب للتخصص الملائم على مصراعيـه لتكـون الطبيبة النسـوية مثـلا، والخبيرة الاجتماعية، والمربيـة المدرسية، ومـا إلى ذلك من مثل هذه الأعمال التي لا يكون نجاحهـا على حساب البيت والأمومة، بل ربما كان البيت والأمومة ينبوعا يتدفق بالإلهام الخير للسمو بهذه الأعمال.

فـالإسـلام هو النظـام الـوحيـد الذي أعطـى المرأة جميع حقوقهـا، ونظـر إلى وظيفتها الطبيعية وظيفة الأم التي فطـرها الله عليها فجعل لها المقام الأول، حيث جعل مقام الأمومـة أعلى مقام، وجعل مكانة المرأة كأم لا تعـدلها في المجتمع أية مكـانـة، وهيأ لها كل الـوسائل للتفـرغ لهذه الـوظيفـة العظيمـة، وجعل لها من الحقوق ما يكفل لها القيام بهذه الوظيفة على أحسن وجه وأكمل صورة.

ومع هذا سمح لها بـالخروج من منزلها لأيـة ضرورة تعرض لها، ولطلب العلم أيضـا، وللعبادة، ولمسـاعـدة المجاهـدين كـذلك. وكل هـذا في إطار النظـام الإسلامي والآداب الإسلاميـة، أما خروجها واختـلاطها بالرجـال ومزاحمتها لهم بالمناكب والأقـدام فأمر قد نهى عنه الإسـلام وأمر بالابتعاد عنـه؛ لأنه يؤدي إلى شيوع الفاحشة.

فأصحاب هذا الاتجاه يرون:

أن العمل حق ضروري للمرأة، ولكن في المجـالات التي تتناسب مع أنـوثتها ولا تتصادم مع القيم الإسلامية.

واعتمد أصحاب هـذا الاتجاه على أنه لا اعتراض في الإسلام على حق المرأة في العمل من حيث المبدأ في مجالات تفيد المجتمع وتنفع بنات جنسها.

ولكن يختلف أصحاب هذا الاتجاه مع الاتجاهين السابقين في نقطة التنفيذ وطريقة العمل، ومجالاته فهم يرون التوسط هو خير الأمور فلا إفراط ولا تفريط.

ويعتمدون على استقراء التاريخ الإسلامي وما فيه من أمثلة عديدة لأعمال قامت بها المرأة المسلمة على مر العصور الإسلامية في مراحل ازدهارها وانحطاطها.

وانطلاقا من هذا، ومن الحرص على استغلال الطاقات الكامنة في نفس المرأة في أعمال تتناسب مع أنوثتها من جانب، ولا تتصادم مع القيم الإسلامية من جانب آخر رأى أصحاب هذا الاتجاه وجوب تهيئة المجالات التي تستقطب الأعداد الكبيرة من النساء وإتاحة الفرصة لهن للعمل فيها؛ لأنه ما لم يؤخذ بهذا الاتجاه فتكون الفرصة سانحة للأخذ بالاتجاه الأول (المساواة التامة بين الرجل والمرأة في العمل) وخصوصا أن هناك مؤثرات توالي الضغط على المرأة للخروج للعمل.

وتأكيدا لضرورة اعتبار تلك المؤثرات في حسم موضوع عمل المرأة:

يقول محمود سفر ١٤٠٤هـ: ومن المهم أن يطرح المخلصون من مفكري العالم الإسلامي المعاصر تصوراتهم وأفكارهم حول فعالية دور المرأة المسلمة في مجتمعها بصورة جدية وواضحة، ومن المهم كذلك أن تكون التصورات والأفكار المطروحة واقعية وعملية، تأخذ في ثناياها طبيعة العصر ومستلزماته، وظروف الحياة ومتطلباته، فخير للأمة أن تأخذ بزمام الموقف من أن يفرض الزمام عليها مواقف لا تملك مجابهتها.

وأصحاب هذا الاتجاه لم يطلقوا رأيهم بدون شرط وقيد، وإنما علقوه بشروط وضوابط معينة تحفظ للمجتمع الإسلامي كيانه وتماسكه وتتناسب مع ظروفه وأحواله.

ومن هذه الشروط والضوابط التي يراها أصحاب هذا الاتجاه ما يلي :

أولاً : يجب توفير المناخ الملائم، والوسائل المريحة أمام المرأة العاملة للتوفيق بين العمل في البيت وخارجه .

ثانياً : لا بد أن يكون عمل المرأة متفقا مع تكوينها الجسمي والنفسي والروحي ومقوماتها، وأن تؤدي العمل في المكان الآمن والوقت الملائم، وبالأسلوب الذي يحفظ عليها كرامتها ويجنبها المزالق .

ثالثاً : أن تقضي حاجة المجتمع إلى عملها . فلا تتقلد وظائف لا يحتاج إليها المجتمع، ومن ثم تكون النتيجة ضياعا للوقت وإهدارا للجهد والطاقة على حساب بيتها وأسرتها ولا مردود لعملها .

رابعاً : موافقة ولي أمرها أيا كان على عملها كزوج أو أب أو أخ، وما شابه ذلك على أنه يكون الاعتبار الأول هو مدى رغبتها أو عزوفها عن العمل .

خامساً : يجب إعداد المرأة نفسيا وفكريا بما يجعلها على وعي تام بنمط السلوك الذي يجب أن تسير عليه والتمسك بالقيم والمبادئ والأعراف الأصلية، وعدم التأثر بالثقافات المنحرفة .

واعتمد أصحاب هذا الاتجاه في حصرهم لعمل المرأة على مجالات معينة على عدة منطلقات منها :

المنطلق الأول : اختلاف التكوين البيولوجي بين المرأة والرجل .

المنطلق الثاني : مصلحة المجتمع تكمن في تقسيم العمل وأزلية التخصص بين الرجل والمرأة .

المنطلق الثالث : الحفاظ على كرامة المرأة وصيانتها .